إدارة أزمات الأمن الاقتصادي في التراث الإسلامي: إدارة بين القيادة والاستراتيجية قصة سيدنا يوسف عليه السلام أنموذجا

أ. خالدي سعاد
جامعة أحمد بن بلة 1 –وهران– الجزائر
Khaldi_souad@yahoo.fr

أ.د عبد الإله عبد القادر
جامعة أحمد بن بلة 1 –وهران–الجزائر
abdel_nabdz@yahoo.fr

ملخص

منذ البدايات الأولى للإنسان وهو يطمح إلى تحسين معيشته قصد الحصول على القدر الكافي من الأمان في شتى المجالات. و الأمن الاقتصادي هو امتلاك المرء للوسائل المادية التي تمكنه من أن يحيا حياة مستقرة. إن الأمن الاقتصادي من منظور إسلامي فهو تأمين الموارد والاحتياجات والمستلزمات التي تعطي الأمن والاستقرار وتحفظ النفس. و تعد قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا رائعا للقيم والمبادئ ذات المردود الاقتصادي من خلال وضع خطة اقتصادية متينة لترشيد الاستهلاك وتحقيق الأمن الغذائي الذي حقق الأمن الاقتصادي في النهاية. في دراستنا هذه سنبحث من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام الأساليب والاستراتيجيات التي انتهجها سيدنا يوسف لتحقيق الأمن الاقتصادي من خلال إدارة أزمة قلة المورد الغذائي ودور القيادة الرشيدة كصفة أساسية في ذلك. واستخدمنا لهذا الغرض المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل الأزمة الاقتصادية من خلال التعريج على مراحل تطورها المتمثلة في رؤيا فرعون، الجفاف وقلة الموارد الغذائية واختيار القائد المناسب ووضع استراتيجيات صحيحة وفعالة لتجاوز الأزمة غيرها.

كلمات مفتاحية: الأمن الاقتصادي في الاسلام، إدارة أزمات الأمن الاقتصادي، استراتيجيات التعامل مع الأزمة، القيادة الرشيدة، الأمن الاقتصادي في قصة سيدنا يوسف عليه السلام.

Abstract

From the earliest times, man tries to improve his life in way to reach an amount of security as well as economic security which is owning all material means that could provide stable life. Economic security in Islamic point of view is providing sources and needs that gives stability and keep people far from sins. The history of prophet JOSEF is a good form of values and principles of an economic payoff by making a strong plan to rationalize consumption and achieve food security then economic security by the end. this study focuses on methods and strategies done by the prophet to insure economic security by managing food crisis and the role of the perfect leadership as an important quality in crisis.

We used a descriptive and analysis approaches to develop the study such as crisis steps, choosing a good leadership and the right strategies to overcome the food crisis.

Key words: Economic security in Islam, Economic security crisis management, Dealing with crisis, Leadership, Economic security within prophet JOSEF's story.

مقدمة:

إن القرآن الكريم يعد منهجا عاما يسهل الحياة بمختلف ميادينها ومجالاتها للإنسان العاقل التي يتفكر في معانيه وعبره. حيث وجد اغلب الباحثين من فقهاء في الشريعة وعلوم الدين إلى العلماء في مجال الرياضيات والعلوم التجريبية والفلكية وحتى العلوم النفسية والاجتماعية والتاريخية وغيرها أن القرآن الكريم كتاب شامل ومعلم بامتياز استطاع أن يضم جميع الاكتشافات والابتكارات في وقت لم تعرف فيه البشرية معنى للعلم بالمفهوم الحديث.

كما أن القرآن الكريم استطاع رغم نزوله قبل 1400 سنة أن يواكب عدة اختراعات وابتكارات لم يعرفها الانسان إلا في السنوات الأخيرة وهذا ما زاد من قوته وأهميته. وللأسف الشديد ازدهرت الأمة الاسلامية في فترة كان كتاب الله هو منهجها في الحياة وتقهقرت حين بنت بينها وبينه سورا وأصبح مجرد كتاب للحفظ دونما تفكر وعمل.

ومن بين ما نشهده الآن توالي الأزمات الاقتصادية في العالم العربي والتي يرجعها المختصون إلى سوء إدارة الموارد الطبيعية وبالأخص المورد الغذائي الذي أدى إلى عدم الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الأساسية للعيش مما رجح أكثر لفكرة الاستيراد وبالتالي التبعية التي أغرقت العالم العربي في الديون ومنعتها من تحقيق التنمية في شتى المجالات.

وللأسف الشديد فإن القرآن الكريم لو يتفكر فيه المسلمون أعطى مثالا حيا يعتبر استراتيجية ناجحة لمواجهة أزمة نقص الغذاء على المدى البعيد من خلال قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام في مواجهة سنين القحط والجفاف بأساليب أقل ما يقال عنها أنها علمية ومدروسة ولا تتنافى أبدا مع المناهج الحديثة فيما يسمى باستراتيجيات إدارة الأزمات. وبالتالي كيف تعامل سيدنا يوسف الصديق عليه السلام مع أزمة نقص المورد الغذائي في سنين القحط والجفاف؟ وما مدى نجاعة استراتيجيته؟ وما دوره القيادي في هذا كله؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية سنتطرق لثلاث محاور أساسية وهي:

أولا: مفهوم الأزمات الاقتصادية وأنواعها وأسبابها.

ثانيا: مفهوم الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم وأنواعه.

ثالثا: إدارة أزمة الأمن الاقتصادي من خلال سورة يوسف عليه السلام، والتطرق لمراحل الأمة واستراتيجيات التعامل معها في ظل القيادة الرشيدة لسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام.

1. الأزمات الاقتصادية:

1.1. مفهوم الأزمة الاقتصادية:

أ. لغة: أزم: أي أزم عليهم العام والدهر أزماً وأزوماً أي أشتد قحطه، وقيل خيره. أزمة أزمرة أي مجدبة، شديدة الجدب والمحل وقيل إذا أزمت بهم سنة أزوم.

الأزمة: الشدة – القحط، ومنه القول المأثور اشتدي أزمة تنفرجي، ويقال الأزمة في الحديث: السنة المجدبة، يقال ان الشدة إذا تتابعت انفرجت، وفي الحديث ان قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال وشاهد الأزمة، جمعها أزم مثل تمر وعنب[1].

ب. اصطلاحا: تُعرّف بأنها اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في قطر أو عدة أقطار وتنشأ عن الاضطراب الناشئ عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك[2].

يمكن تعريف الأزمة من الناحية الاجتماعية بأنها تلك الحالة التي تؤدي إلى توقف الأحداث المنظمة والمتوقعة واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن ولتكوين عادات جديدة أكثر ملائمة.

أما المفهوم العلمي لها: فيشير إلى أنها موقف أو حدث مفاجئ غير متوقع فيه إثارة؛ وعنف؛ ومدته الزمنية قصيرة ولكن مايكل بريتشر يرى أنها ليست بالضرورة قصيرة بل قد تمتد إلى عدة أشهر[3]. لذا يمكن القول أن الأزمة هي عبارة عن تزايد وتراكم مستمر لأحداث وأمور غير متوقعة على مستوى جزء من النظام أو النظام كله؛ بالإضافة إلى التأثير الشديد على أطراف داخل النظام أو خارجه ماديا ونفسيا.

2.1. أسباب الأزمة الاقتصادية: ترجع أسباب الأزمات الاقتصادية في العالم العربي إلى سببين رئيسين هما[4]:

أ. الاضطرابات السياسية والفتن والحروب الطاحنة فضلاً عن الفساد الإداري والمالي وكثرة البذخ والترف كلها تؤثر على الجانب لاقتصادي لأنها ترهق مالية الدولة بمبالغ تؤدي بها إلى الإفلاس، وهذا يؤدي إلى تمرد الشعب عن الأوضاع المزرية وغلاء المعيشة.

ب. الجفاف: في القرآن الكريم آيات تشير إشارة واضحة إلى أهمية الماء والأرض والزرع، وحاجة الإنسان إليها، ومن هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**[5]﴾.

غالباً ما يقترن عدم نزول المطر بحدوث أزمات اقتصادية كثيرة مسببة ارتفاعاً حاداً في الأسعار للمواد الغذائية الأساسية بسبب شحتها، تصاحبها موجة من الأوبئة، فتلحق خسائر بشرية كبيرة، والمعروف أن الغذاء الغالب للناس في العراق والبلاد الأخرى هو الخبز، واغلب ما يزرع هو الحنطة والشعير، ويعد ارتفاع أسعارها دليلاً على حدوث الغلاء.

2. الأمن الاقتصادي:

قبل التطرق لمفهوم الأمن الاقتصادي علينا أولا أن ندرك أنه ليس إلا جزء من الأمن الانساني إلى جانب الأمن الغذائي، الأمن الصحي، الأمن البيئي، الأمن الشخصي، الأمن الاجتماعي والأمن السياسي وهذا حسب ما جاء في برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة في تقريره لعام 1994. ويعد الأمن الانساني حسب تقرير التنمية الانسانية الصادر عن الأمم المتحدة لعام 1994 نتاج التحرر من الحاجة (Free from want) والتحرر من الخوف

(Freedom from fear) كما أن أساس الأمن الانساني حماية المواطن بالدرجة الأولى قبل الدولة فهو أساس المجتمع وبأمنه يكون العالم مكانا آمنا.

1.2. مفهوم الأمن الاقتصادي: هو " الثقة في إمكانية الانتاج والتوزيع بطريقة عادلة وبدون معوقات"[6]، وهو أيضا حسب الأمم المتحدة " أن يملك المرء الوسائل المادية التي تمكنه من أن يحيا حياة مستقرة ومشبعة. وبالنسبة لكثيرين يتمثل الأمن الاقتصادي، ببساطة في امتلاك ما يكفي من النقود لإشباع حاجاتهم الأساسية، وهي: الغذاء، والمأوى اللائق، والرعية الصحية الأساسية، والتعليم"[7] .

2.2. مفهوم الأمن الغذائي: وهو ‘‘تأمين حصول أفراد المجتمع على ما يلزم لغذائهم من احتياجات غذائية أساسية يحددها علم التغذية من المواد النباتية والحيوانية أو كليهما، مع ضمان توفير حد أدنى من تلك الاحتياجات بالكم والكيف الضروريين لاستمرار حياة هؤلاء الأفراد في حدود دخولهم المتاحة"[8]. ويعد الأمن الغذائي إما "قصير المدى بتخزين المنتجات الغذائية والإبقاء على احتياطي بنسبة معينة، أو طويل المدى من خلال زيادة الإنتاج المحلي، وتنمية القدرات الغذائية"[9].

ويقوم الأمن الغذائي على أربع أسس وهي:" إتاحة المعروض من المواد الغذائية سواء من الإنتاج المحلي أو المستورد، واستقراره على مدار السنة، كذلك ملاءمته مع مدخول المواطنين، و أخيرا أن يكون وفق المواصفات المعتمدة"[10] .

3.2. الأمن الصناعي: و "هو توفير الصناعة اللازمة محليا أو خارجيا لإنتاج السلع المرغوب فيها وبالكميات اللازمة من هذه المنتجات، مع محاولة تخفيض تكاليف الإنتاج إن أمكن"[11]

4.2. الأمن الصحي: وهو يهدف إلى ضمان الحد الأدنى من الحماية والوقاية من الأمراض وطريقة الحياة غير الصحية، ففي الدول النامية مثلا يعود سبب الموت إلى الأمراض المعدية والأوبئة نتيجة سوء التغذية وعدم توافر العلاج الطبي والأدوية، والمياه العذبة النظيفة.

5.2. الأمن البيئي: ويهدف إلى حماية الفرد من تخريب الطبيعة كتلوث المياه والاحتباس الحراري الناجم عن البيوت الزجاجية والمصانع وغيرها.

6.2. الأمن الشخصي: وهو محاولة حماية الفرد من العنف الجسدي، الواقع عليه من الدولة أو من خارجها من أشخاص عنيفين أفرادا مستقلين أو تابعين للدولة.

7.2. الأمن الاجتماعي: وهو حماية الأفراد من فقدان العلاقات التقليدية والقيم ومن العنف الطائفي الاثني.

8.2. الأمن السياسي: ويهتم بتحقيق حياة الانسان في مجتمع يحترم حقوقهم الإنسانية وينبذ القمع السياسي والتعذيب المنظم والمنهجي وسوء المعاملة والاخفاء، كذلك فرض الرقابة وكبح حرية التعبير والصحافة.

3. الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم:

وردت كلمة الأمن ومشتقاتها في القرآن الكريم في سبعين موضعا كلها تعني الطمأنينة وعدم الخوف والثقة كقوله تعالى: " وآمنهم من خوف"[12].

أما كلمة اقتصاد فجاءت في ستة مواضع تراوحت معانيها بين الإيمان[13]، التوسط والاعتدال[14]، الوفاء بالعهد[15]، الهداية للصواب[16]، التقصير في الطاعة[17]، وتأمين حصول الفرد على حاجاته[18].

لكن رغم عدم وجود مصطلح الأمن الاقتصادي بهذا المفهوم في القرآن الكريم لا يعني بالضرورة عدم تطرقه له بل على العكس تماما فإن مناهج واستراتيجيات تحقيق الأمن الاقتصادي بارزة بشكل كبير في عبر وقصص الغابرين من السلف ولا يمكن وصفها إلا بالتجارب القريبة جدا والشبيهة بما تدرسه الجامعات في هذا العلم في أيامنا هذه. وسنحاول كما سبق الذكر تبيان الاستراتيجيات في تحقيق الأمن الغذائي من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم.

4. إدارة أزمة الأمن الاقتصادي من خلال سورة يوسف عليه الصلاة والسلام:

1.4. مراحل أزمة الأمن الغذائي في عهد سيدنا يوسف عليه السلام: قبل الحديث عن مراحل الأزمة لا بد من توضيح نقطتان أساسيتان وهما:

- ما هي هذه الأزمة؟
- زاوية الرؤية سواء كانت الرؤية كلية أو مصغرة للأزمة.

إن الأزمة في عهد سينا يوسف عليه السلام كانت أزمة غذائية بامتياز استطاع حاكم مصر آنذاك بمشيئة الله أن يتنبأ من خلال رؤيا سخرها الله له وبمساعدة سيدنا يوسف في تأويل معناها. حيث مرت مصر بأزمة جفاف خانقة لمدة سبع سنين تباعا أتت على كل مدخرات الدولة من الحنطة والقمح وكادت أن تضرب اقتصاد الدولة لولا القيادة الرشيدة والاستراتيجية المحكمة التي نفذها الصديق يوسف عليه السلام.

أما فيما يخص مراحل الأزمة فهي تتلخص في رؤيتين اثنتين:

– أزمة متعلقة بتنشئة نبي من الله سبحانه وتعالى وتصبح بذلك الأزمة مجرد مرحلة في حياة النبي قصدها المكافأة على الصبر والطاعة ومن الله تعالى وهي الرؤية الشمولية لقصة سيدنا يوسف عليه السلام.

– وهنا النظرة الجزئية المتعلقة بتعامل الصديق مع الأزمة كإنسان ونبي من خلال اعداد العدة والعتاد لمواجهة الأزمة والخروج منها إلى بر الأمان.

والحقيقة أن الفصل بين الرؤيتين أمر صعب جدا خاصة وأن المرحلة الأخيرة من الأزمة التي سنذكرها لاحقا تتداخل بشكل كبير بين المكافأة الشخصية للنبي من الله تعالى ومكافأة النبي الانسان بالنجاح في تخطي أحد الأزمات والتي

تعد في نفس الوقت من الامتحانات التي يبتلي بها الله أنبياءه الأتقياء. ورغم هذا سنحاول أن نتطرق فقط لمراحل الأزمة الغذائية من منظور جزئي لحصر الدراسة بما يتناسب والموضوع.

يقول محمد الصريفي[19] فلا يختلف كثيرا في تصنيفه على تصنيف زميله محمود جاد الله فيراها أربع مراحل و هي:

– **المرحلة التحذيرية**: حيث يكون هناك شيء ما يلوح في الأفق وينذر بموقف غير محدد المعالم.

– **مرحلة نشوء الأزمة**: عندما لا تنتبه المؤسسة لخطورة الأزمة في المرحلة الأولى فإن الأزمة ستنمو وتشتد وتتعاظم بشكل سريع.

– **مرحلة الانفجار**: إن لم تتمكن المؤسسة من التحرك في المرحلة السابقة فستتعرض إلى أزمة ذات درجة عالية من القوة والعنف.

– **مرحلة الانحسار**: وهنا تبدأ الأزمة في التلاشي والانحسار لأنها تفقد القوى الدافعة لها، فتعود المؤسسة إلى حالة التوازن الطبيعي أو إلى نحو أفضل أو أسوأ منه.

– إن رؤيا الملك انقسمت إلى أربعة مراحل أولها الرؤيا في حد ذاتها ومحاولة تفسيرها، ثانيها سبع سنين من الخير والبركات، ثالثها سبع من القحط والجفاف ورابعا وأخيرا عام ينزل فيه الغيث فيزرعون ويحصدون ويعصرون.

أ. **المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الأزمة: رؤيا الملك**: تبدأ هذه المرحلة من اللحظة التي رأى فيها حاكم مصر في ذاك العصر رؤيا مفادها سبع بقرات عجاف يأكلهن سبع بقرات سمان وسبع سنبلات خضر وسبع أخر يابسات كما جاء في كتابه العزيز:

" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيَ ارَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُون" (الآية 43 من سورة يوسف). ولما كان لهذه الرؤيا من وقع نفسي عنيف على الملك جمع سحرته وكهنته لتفسير الرؤيا ولما عجزوا وصفوا الرؤيا بأضغاث أحلام ففي الآية 44 من سورة يوسف جاء فيها: " قالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْن بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِين".

قد يبدو من هذا الجواب أن " تأويل الأحلام لم يكنْ شيئاً معروفاً –كعلم – عند حاشية الملك، كما قد يرجع إلى أن أغلب الناس حينئذ – بل إلى الآن – لم يكونوا يعتقدون بأن للأحلام معاني ودلالات، وقدرة على التنبُّؤ بما سيقع مستقبلاً؛ بل يعتبرون الأحلام عبارة عن أضغاث، أي: خيالات وأوهام لا معنى لها، وفي هذا الموقف تجاهل – إن لم يكن جهلاً – لأحد مصادر المعرفة، التي قد تُفيد في فهم السلوك وغيره من الظواهر، إن بنيت على أساس من العلم المنهجي، بدلاً من "التخريف والتجديف "والادعاءات الكاذبة! ورغم هذا التجاهل والجهل، فقد اعترفت حاشية الملك بأنه لا علم لها بتأويل الأحلام؛ وفي هذا الاعتراف ما قد يدل على التواضع وعدم الادِّعاء، وإن كان إقراراً بجهلهم."[20]

و هنا تذكر ساقي الملك و هو نفسه السجين الذي فسر له سيدنا يوسف رؤياه في السجن و التي مفادها أنه رأى نفسه يسقي الملك خمرا، وتذكر قدرته على تأويل الأحلام؛ فطلب الترخيص له، ليسأل يوسف عن تعبير رؤيا الملك، وأسرع الخطى إلى السجن، وما التقى بيوسف حتى راح يستفتيه في رؤيا الملك ودلالتها، قائلا "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ" (الآية 46 من سورة يوسف) فكان جواب يوسف بعد أن أدرك المغزى الرمزي للرؤيا عن السؤال مباشرة حيث قال :" تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ *ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ *ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" (سورة يوسف: الآيات 47-49) ونلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام لم يكن أسير انفعالاته، إذ راح يقدم الجواب عن طيب خاطر، ولم يحاول استغلال الموقف . ولا شك أن الملك قد أعجب إعجاباً شديداً بتعبير يوسف لرؤياه، فأمر بإحضاره، ولكن يوسف لم يمتثل هذه المرة لطلب الملك، بل ردَّ الرسول رداً جميلا طالباً منه أن يرجع إلى الملك، ويسأله عن النسوة اللاتي قطَّعنَ أيديهنَّ، وكِدْنَ له؛ لوضعه في السجن، حيث لبث بضع سنين، وفي هذا تعبير عن غضب يوسف على السلطة الحاكمة، التي لم تحاول تحرِّي الحقيقة وإنصاف المظلومين، وكان من أهداف يوسف من وراء ذلك: أن يدفع الملك ليتحرَّى بنفسه ما حدث، حتى تنجلي حقيقة الموقف، وينكشف المجرم، ويبرِّئ يوسف ذمَّته.

وبالفعل فقد تحرى الملك قضية النسوة اللاتي قطعن أيديهن وأقر واقتنع ببراءة سيدنا يوسف وجعله من المقربين كما جاء في الآية 54 من سورة يوسف: " قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ".

ب. المرحلة الثانية: مرحلة نشوء الأزمة: سبع سنين من الخير والبركات: هنا بدأت معركة سيدنا يوسف مع الأزمة بتنصيبه أمينا على خزائن مصر" قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (الآية 55 من سورة يوسف). وهذا القول تأكيد لثقة يوسف أن القادم في هذا البلد يحتاج لحكمة إدارة، لا تبعثر ما سوف يأتي في سنين الخصب، لتضمن الاطمئنان في سنين الشدة، وتلك مهمة تتطلب الحفظ والعلم. وقد تقدم ما يثبت أن هاتين الصفتين يتحلى بهما يوسف عليه السلام. وقد يقول قائل: أليس في قول يوسف شبهة طلب الولاية؟ والقاعدة تقول: إن طالب الولاية لا يولى. فيوسف عليه السلام لم يطلب ولاية، وإنما طلب الإصلاح ليتخذ من إصلاحه سبيلاً لدعوته وتحقيقاً لرسالته، حيث أنه كان آمراً فيستجاب، ولم يكن مأموراً للإيجاب حيث أنه كان واثقاً بالإيمان ومؤمناً. كما أن الخزائن يوجد فيها ما يمكن السيطرة عليها من قيادة الاقتصاد. وقالوا: إن يوسف طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، لوضع سياسة اقتصادية يواجهون بها سبع سنين من الجدب، وتلك مسألة تتطلب حكمة وحفظاً وعلماً.

لقد أدرك يوسف أن البلاد ستعرف سبع سنين من الرخاء، تعقبها أزمةٌ اقتصاديةٌ تدوم سبع سنوات أيضا يسودها القحط والجفاف والمجاعة، مما يستدعي قيادةً تتميز بالأمانة والعلم؛ وهاتان خاصَّتان أساسيتان في القيادة، وخاصةً في

المجال الاقتصادي، أمانةٌ وعلمٌ خلال سنوات الرخاء؛ حتى لا يحدث الإسراف والتبذير، والمحاباة وخدمة المصالح الشخصية، وعلمٌ بفنون التسيير، والتقويم، والتخطيط، والتنظيم، والتنفيذ، والإنتاج، وكذلك الأمانة والعلم خلال سنوات الأزمة؛ حتى يتحمَّل الناس عواقبها الوخيمة بالعدل، وتحقيق حسن التوزيع، وترشيد الاستهلاك، والتخطيط للخروج من الأزمة بتجنيد القوى العاملة إلى أقصى الحدود، وتشجيع الناس على الإنتاج أكثر من الاستهلاك؛ لتحقيق النمو الاقتصادي. وهكذا مُكِّن ليوسف عليه السلام في الأرض، فأصبح يتبوَّأ منصباً رفيعا تحيطه العناية الإلهية في جهوده القائمة على إتقان العمل والإخلاص فيه، والسعي حثيثاً لتحسين فنون الزراعة، وما يرتبط بها من سقي، وتعهُّد، ورعاية، وحصاد، وجمع، وتخزين، وتوزيع . ولابد أن يكون الإنتاج في سنوات الرخاء أعلى من الاستهلاك، ولابد أن يكون احتياطي الموارد الغذائية كبيرا ومبنيّاً على حسابات دقيقة، بحيث يغطي هذا الاحتياطي حاجة المجتمع خلال سنوات الأزمة.

ولما النبي الكريم من حنكة في التصرف والتخطيط الرشيد أدرك أن السلوك الإنتاجي يجب أن يكون مدروساً، بحيث يحقِّق فائضاً في الإنتاج، فلا يمكن أن تتحقق تنميةٌ اقتصاديةٌ إذا كان الإنتاج مساوياً للاستهلاك، ويزداد الأمر سوءاً إذا كان الإنتاج أقل من الاستهلاك، كما هو الحال في الدول المتخلفة.

ج. المرحلة الثالثة: مرحلة الانفجار: سبع سنين من القحط والجفاف: في هذه المرحلة بلغت الأزمة ذروتها حيث مسَّ القحط والجدب مصر والمناطق الأخرى، وبدأت القوافل تتوافد على خزينة الملك للحصول على المواد الغذائية خاصة الحبوب التي تولى يوسف عليه السلام الإشراف على توزيعها.

وكان يوسف عليه السلام يأخذ من كل راغب في الميرة الأثمان من ذهب وفضة، ومن لا يملك ذهباً وفضة كان يحضر الجواهر من الأحجار الكريمة، أو يأتي بالدواب ليأخذ مقابلها طعاماً. ومن لا يملك كان يحضر بعضاً من أبنائه للاسترقاق، أي: يقول رب الأسرة الفقيرة: خذ هذا الولد ليكون عبداً لقاء أن آخذ طعاماً لبقية أفراد الأسرة . وكان يوسف عليه السلام يحسن إدارة الأمر في سنوات الجدب ليشد كل إنسان الحزام على البطن، فلا يأكل الواحد في سبعة أمعاء بل يأكل في معي واحد، فرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الشريف كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة وابن عمر: "المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء".

وكان التموين في سنوات الجدب يقتضي دقة التخطيط، ولا يحتمل أي إسراف. ومادام لكل شيء ثمن يجب أن يدفع، فكل إنسان سيأخذ على قدر ما معه، وبعد أن انتهت سنوات الجدب، وجاءت سنوات الرخاء؛ أعاد يوسف لكل إنسان ما أخذه منه .

وحين سئل: ولماذا أخذت منهم ما دمت قد قررت أن ترد لهم ما أخذته؟ أجاب: كي يأخذ كل إنسان في أقل الحدود التي تكفيه في سنوات الجدب.

وفي هذه المرحلة استطاع سيدنا يوسف عليه السلام أن ينفذ بدقة عدة استراتيجيات ساعدته على تخطي الأزمة بنجاح سنذكرها في الصفحات القادمة إن شاء الله.

د. المرحلة الرابعة: مرحلة انحسار الأزمة: عام نزل فيه الغيث فزرعوا وحصدوا وعصروا: في هذه المرحلة بدأت تتلاشى الأزمة وتنحسر لنزول الغيث وانتهاء مرحلة الجفاف والقحط والتقشف الذي عرفته مصر والدول المجاورة لها، بل واستطاع الناس استعادة كل ما فقدوه نتيجة المقايضة بالقمح أثناء المرحلة الثالثة. وهنا أيضا تعلم الأفراد دروسا عديدة وعبرا كثيرة في كيفية مجابهة الأزمات الغذائية.

2.4. استراتيجيات التعامل مع الأزمة: لقد استطاع النبي الكريم بفضل الله عز وجل أن يكرس عدة استراتيجيات على مدى المراحل الأربعة للأزمة لا يمكن وصفها إلا بالخطة الاقتصادية المحكمة اثناء الأزمات وقد اشتملت على عدة استراتيجيات تلخصت مجملها في التخطيط المدروس بحكمة وكفاءة فريق الأزمات الذي تدرب على يد قائد فذ ألا وهو النبي الكريم يوسف الصديق عليه السلام.

ولقد لخص الدكتور عبد السميع أسامة السيد[21] الخطة الاقتصادية التي اعتمدها سيدنا يوسف عليه السلام كالآتي:

- الجد في العمل والاستمرار فيه.
- الادخار للطعام والغذاء في سنين الرخاء.
- نوع الطعام المدخر وكيفية ادخاره.
- ارشاد أهل مصر إلى تقليل الأكل بقدر الحاجة وحفظ ادخار أكثر.
- عدم الاقتراب من الطعام المدخر طوال فترة الرخاء.
- تناول الأقدم فالأقدم من الطعام المدخر في سنواب الرخاء والقحط.
- ارشاد أهل مصر إلى ادخار بعض الحبوب في سنوات القحط لزرعها حتى تستمر عملية الحياة.

أ. التخطيط الجيد: الملاحظة الأولي في علم الاقتصاد هي أهمية "التخطيط" الجيد، وبحسب عبد الحفيظ عبد الرحيم الأستاذ بجامعة أم القري في كتابه التخطيط والتنمية في الإسلام فهناك ملامح اعجاز في الخطة الاقتصادية التي مبناها سبع سنوات عجاف، ثم سبع سنبلات، ثم عام فيه الرخاء ورفع البلاء، فيقول أن آجال التخطيط المعروفة في الفكر الاقتصادي حالياً ثلاثة، أولها التخطيط طويل الأمد ويمتد لفترة زمنية من 15 – 20 سنة وفيه تتحدد الأهداف الرئيسية لنمو الاقتصاد، والثاني التخطيط المتوسط المدى وفترته من 5 – 7 سنوات وهو يمثل مرحلة من مراحل تنفيذ التخطيط الطويل الأجل في صورة خطط مرحلية متتابعة لتنمية الاقتصاد تكمل بعضها البعض في سبيل تحقيق الأهداف الطويلة الأجل المحددة في الخطة الطويلة المدى، أما الأجل الثالث فهو الأجل القصير وهو يتمثل في الخطط السنوية التي تنفذ من خلالها الخطط المتوسطة وتتحقق عن طريقها أهدافها. وهذه الخطط التنموية الطويلة الأجل قد

ذكرها القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام التي استغرقت خمسة عشرة سنة وأنجزها دون كلل في هذا الأفق الزمني الطويل نسبياً بصبر وأناة .

وفي ذلك يذكر صالح حميد العلي في كتابه معالم الاقتصاد الإسلامي أنه وإذا كانت الرؤيا وعلم تأويلها هي التي كشفت لنبي الله ما سيحدث من سعة ثم جدب، فإنه: وفي الوقت الحاضر يكشف العلم للإنسان كثيرا من القوانين الطبيعية من حركة الرياح والغيوم وكميات هطول الأمطار خلال فترة طويلة من الزمان، حتى أصبح بإمكان الإنسان التنبؤ بما سيقع في المستقبل سواء في حقل الزراعة أو في أي قطاع اقتصادي آخر.

وبعد أن تتوفر للإنسان هذه المعلومات عن المستقبل عليه واجب الاستعداد لأحداث المستقبل سواء الرخاء الاقتصادي أو لأحداث الكساد والقحط والأزمات فلكل من هذه الحالات طرق مختلفة لمواجهته. وبالعودة إلي عبد الحفيظ في كتابه السابق نجده يقول: أن في قصة يوسف عليه السلام في تفسيره لرؤيا الملك عدة اعتبارات: تتمثل في العمل الزراعي الدائب، حيث يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام " تزرعون سبع سنين دأبا" أي بصورة متتالية لتحقيق الأمن الغذائي في سنوات الضيق المقبلة، ثم تحقيق التوازن بين الانتاج والاستهلاك لإيجاد مزيد من الفائض الذي يسمح بإعادة الانتاج وتحقيق الرخاء. يضيف أيضا أن خطة يوسف عليه السلام لم تستعن بأية أموال من الخارج، وإنما كان الاعتماد الكلي على الانتاج المحلي المتاح والعمل الدؤوب المستمر دون كلل أو ملل والتركيز على الفائض ليعيش المجتمع في رخاء وهذا كله لا يتأتى إلا بمشاركة القوى البشرية وأثرها الإيجابي على العملية التخطيطية والإنتاجية.

وتري الباحثة فيان صالح علي أستاذة في كلية العلوم الإسلامية، بجامعة صلاح الدين من خلال بحثها: أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف–عليه السلام–في ضوء القرآن الكريم: أنه وبعد وضع الخطة فكر سيدنا يوسف عليه السلام بتوسيعها، وأصبح الفائض في مصر هو ملك لكل الناس ويحق لأي فرد أن يأتي ليأخذ الطعام، ولكن تم تحديد الكمية بقدر بعير واحد فقط حتى يتمكن الجميع من الحصول على الطعام وجعل لكل شخص بطاقة خاصة به حتى يعرف من خلالها أنه حصل على الطعام كي لا يحصل أي نوع من الفوضى، وبدأ يوسف عليه السلام باستقبال الوفود التي تدخل إلى مصر ويجلس بنفسه لمقابلتهم، ويبدأ بختم بطاقتهم دون اهانة وهكذا قضى عليه السلام على الاحتكار والبطالة والتسول بخطة عبقرية لم يسبق لها مثيل، وقد اعتمدت تلك الخطة علي أن يحضر كل من أراد الحصول على الطعام، معه بضاعة من صنع بلده، تماما كمبدأ المقايضة أي الطعام مقابل البضاعة التي يحضروها.

ب. **الادخار الحكومي**: وهو مظهر اقتصادي هام، تعرفت عليه الدول فيما بعد، وهو آليات الادخار والترشيد في الإنفاق، وبحسب دراسة "الادخار في النظام الإسلامي" للباحث الهادي أحمد محمد بجامعة القضارف، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية أنه وفي سورة يوسف بشكل خاص وصف لكيفية الادخار في السنين والأيام الخصبة من أجل

مكافحة الجفاف وأيام الجدب لمواجهة الأزمات الاقتصادية في المستقبل. يضيف: أن يوسف عليه السلام قد أرشدهم إلى أهمية تلك السنين من الخصب ليأكلوا من خيرات تلك السنين ما يحتاجونه من غير إسراف، ويدخروا ما تبقى في سنبله ولو كان قليلا. كانت عملية التخزين تتم بطريقة فنية تضمن عدم التسوس و تآكل المخزون، وذلك بترك السنابل دون درس، لئلا يتخللها الهواء فتفسدها الرطوبة والتسوس، وبذلك يجمع بين الاستهلاك البشرى من الحبوب والاستهلاك الحيواني من التبن بعد درس السنابل عند الحاجة، ولذا فقد وضع الإسلام أقدم الموازنات الاقتصادية للأزمات التي تمر بها الأمة، وأعطاها أفضل الحلول.

كما أن النبي الكريم استطاع أن يميز بين الطعام الذي يمكن ادخاره والذي يفسد فمثلا اللحوم والفواكه لا يصلحان للادخار وبالتالي فإن الطعام المدخر هو:

– ما كان له قشرة خارجية أو غلاف خارجي وهو الحبوب أو الغلال مثل القمح والفول والأرز ...إلخ.

– أما عن كيفية ادخاره فقد أمرهم بترك قشرته الخارجية حتى لا يدخله السوس أو الرطوبة فيفسد.

وكما سبق الذكر فإن حسن الادخار لا يكمن فقط المادة المدخرة أو كيفية ادخارها بل والمحافظة على هذا الادخار من التبذير بالتقليل من الأكل أي الأكل على قدر الحاجة والبدء بالمدخر القديم أولا وعدم الاقتراب من الطعام المدخر أيام الرخاء.

ج. الذكاء التجاري: وفي الإطار نفسه يشير الباحث محمد اسماعيل المؤيد المتخصص في علم الذكاء التجاري في مقال له منشور عام 2009، أن العلم الحديث قد توصل إلي ما يسمي بالذكاء التجاري "Business Intelligence" أو كما يحلو البعض بتسميته الاستخبارات التجارية، وهي تعني الحصول على المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب لاتخاذ أفضل القرارات، ويقول الخبراء أن تاريخ الذكاء التجاري يرجع الى السبعينات من القرن الماضي، عندما بدأت ثورة المعلومات تنتشر واعتمد عليها في تسيير المؤسسات التجارية والحكومية، و في نفس الوقت ظهرت تكنولوجيا ما يسمي بمخزن البيانات "Data warehousing" ورأى الباحث في مقاله أن نبي الله يوسف عليه السلام من أهم الشخصيات التاريخية التي استطاعت أن تحقق أكبر عملية إنقاذ اقتصادي في العالم، وذلك عبر قيامه بعملية معقدة من جمع البيانات حتي تستطيع مصر تخزين محصولها علي أساس سليم، ولذا فقد تم جمع المعلومات الدقيقة حول عدد السكان في كل مدينة وقرية، عدد الحيوانات من بهائم و أغنام وغيرها، حجم استهلاك الأفراد والحيوانات، عدد الأراضي القابلة للزراعة، عدد ومساحة الأراضي الخاضعة لسيطرة الدولة وغير الخاضعة، عدد العمال العاملين في هذه الأراضي، عدد الوافدين من الدول أو الأماكن المجاورة، نسبة النمو السكاني وغيرها من المعلومات الضرورية لاتخاذ القرارات. وبناء على هذا فقد أهّلت تلك المعلومات أروقة الحكم، لبناء مخازن القمح، بحسب التجمعات السكانية، كما تم توزيع القمح في أعوام الجدب بناء على ما سبق جمعه من معلومات.

د. أخلاق الاقتصاد: بعكس الرؤية الاقتصادية والسياسية الغربية، لا يعرف النظام الاقتصادي الاسلامي التحرر والفصل بين الأخلاق والممارسات العملية والاقتصادية، بل يضعها نصب عينيه دائما، وذلك وفقا لدليل أخلاقي لا يحيد عنه الممارس. وفي نموذج نبي الله يوسف عليه السلام ما يدل على ذلك، فهو بداية كشخص اجتمعت له الميزات الأخلاقية للقيادة والإدارة، من قوة ودراية نابعين من الحكمة التي علمه إياه المولي عز وجل، فضلا عن الأمانة التي ظهرت في عفته ومراعاته لمحارم الله تعالى. ولذا فقد قادت تلك الأخلاق نبي الله يوسف عليه السلام أن يصيغ منها نموذجا راقيا إبان ممارسته للحكم والاقتصاد. فهو من ناحية قد ضرب مثلا في منع الاحتكار، ظهر ذلك في توزيعه من خير مصر على البلاد المجاورة في سنوات الجفاف، كما ضرب مثلا في الورع وقوة التحمل وفقا لما ذكره ابن كثير في تفسيره أنه لما:" ورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات، يمتارون لأنفسهم وعيالهم، فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة. وكان، عليه السلام، لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار، حتى يتكفى الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين". وفي ذلك تجلي واضح لأهمية العنصر البشري والتكامل بينه وبين العناصر المادية الأخرى على اختلافها، وفي ذلك يقول محمد علي الصلابي في فقه النصر والتمكين: أنه وبذلك أي بالعنصر البشري يحدث تكامل قوي بين الخطة والمخططين، بين حساب الأرقام، وحساب الأخلاق، بين الأسس المادية والقيم الروحية في المجتمع، بين الدين والحياة، يضيف أن العنصر البشري قد تجلي أيضا في اختيار المعاونين الذين ساعدوا نبي الله عليه السلام في عمله، فكان من رجاله العون الصادق على تنفيذ أوامره بدقة وهدوء.

هـ. تكوين فريق الأزمات: يظهر تكوين فريق الأزمات في منهج نبي الله يوسف القائد الأزموي؛ من خلال المحاور التالية:

هـ.1. تكوين عقائدي: يتضمن التكوين العقائدي كما جاء في منهج نبي الله يوسف الدعوي لأهل السجن:

– **الإيمان بالله:** مصداقاً لقوله تعالى: "إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله" (الآية 37 من سورة يوسف)، أي: شريعة قومٍ لا يصدقون بوجود الله، وقوله: "ءأرباب متفرقون أم الله الواحد القهار" (الآية 39 من سورة يوسف) حيث إن اسمي الله "الواحد" و "القهَّار" اسمان يتناسبان سياقاً ونظماً مع أحداث الأزمة الاقتصادية التي كتبها وقدرها رب العباد الذي يفعل ما يشاء دون مشورة شريك، ويقهر عباده لينقادوا إلى إرادته ومشيئته على أهل مصر والدول المجاورة .

– **الإيمان بالآخرة:** مصداقاً لقوله تعالى: "وهم بالآخرة هم كافرون" (الآية 37 من سورة يوسف)، حيث يتبين لنا مواقع كلمة الآخرة ودورها في السياق القرآني لبناء نبي الله يوسف عليه السلام فريق الأزمات، من خلال: تصحيح الإيمان بالآخرة لدى المصريين القدماء على الوجه الذي دعا إليه الأنبياء، ولإظهار الجزاء والحساب، والثواب والعقاب في الدار الآخرة. وبيان مدى ارتباط الإيمان والتقوى لدى فريق الأزمات بالإيمان بالآخرة وأثرهما على سلوكهما العملي

أثناء الاضطلاع بمهام مزاولة عملهم في حفظ وإصلاح الغلال والأموال والمياه والمعلومات، والاستفادة المثلى منها في سني القحط وقلب الأزمات، لتكون الآخرة هي دار القرار والمستقر.

– **الإيمان بالرسل:** مصداقاً لقوله تعالى: "واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله (الآية 38 من سورة يوسف) من شيءٍ". حيث أثَّر سيدنا يوسف في فريق الأزمات بالسير على منهج الأنبياء السابقين من آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب، كذا أثَّر نبي الله يوسف القائد الأزموي في أجيالٍ متعاقبة، عن طريق مؤمن فرعون الذي تأثر بالمنهج العقائدي لنبي الله يوسف في معالجة الأزمات، من خلال ذكر مؤمن فرعون لنبي الله يوسف في سورة غافر" وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ" (الآية 34 من سورة غافر).

– **الإيمان بالقضاء والقدر:** مصداقاً لقوله تعالى: "إن الحكمُ إلا لله" (الآية 40 من سورة يوسف)، وقوله: "قُضي الأمر"(الآية 41 من سورة يوسف) حيث إن الحاكمية لله وحده لا ينازعه أحد فيها الحاكم الآمر الناهي بلا معقب لأمره أو راد لقضائه، فقد كتب الله على فريق الأزمات أزمة السجن، كما أنه تعالى سيكتب عليهم أزمة المجاعة والقحط، لحكمةٍ منه تقتضي تغلغل شريعة نبيه يوسف بين أفراد الشعب المصري، لتكون هي النجاة من هذه الشدة وتلك المجاعة بتعاليمها.

هـ.2. تكوين قيمي:

– **العدل في توزيع الحنطة:** يقول تعالى: "وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ..." (الآية 59 من سورة يوسف)، وهي لفظة قرآنية معبرة دّالة على القسط والعدل في استخدام الموازين من قِبل قائد فريق الأزمات اليوسفي وفريقه، من خلال استبدال الحنطة بالعملات، وذلك دون تسلطٍ من فريق عمل الأزمات اليوسفي أثناء عملية المبادلة أو تحكمٍ على الشعوب المجاورة أثناء توزيع الحنطة، أو تعالٍ أو استغلال أو رفع أسعار أو الكيل بمكيالين أثناء هذه الأزمة الاقتصادية الطاحنة من خلال وضع نظامين للمبادلة الأول لأهل مصر والثاني للشعوب المجاورة. وهذا إن دل إنما يدل على تغلغل الإيمان بالآخرة في نفوس فريق الأزمات، وبيان أثره على سلوكهم ومعاملاتهم مع المصريين والشعوب المجاورة والذي وضح جلياً في تحقيق مبدأي المساواة والعدل.

– **خير المضيفين:** يقول تعالى:"...أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ" (الآية 59 من سورة يوسف)، حيث يظهر في شهادة نبي الله يوسف لنفسه بأنه يوفي الوزن وهو خير المضيفين، حيث تعتبر هذه الشهادة تطبيقاً لقوله تعالى "وأما بنعمة ربك فحدث" (الآية 5 من سورة الضحى) وليس من باب التفاخر والمباهاة، بل هي لازمة وواجبة في هذا التوقيت الذي يبث فيه قائد الأزمة روح الأمانة والإخلاص والثقة في نفوس غلمانه وفريق عمله من ناحية،

وكذلك في نفوس الشعب بل والشعوب المجاورة من أرض كنعان، ليبني الثقة بينه وغلمانه من ناحية والشعب الذي وثق فيه من ناحيةٍ أخرى .

– **الإحسان:** يقول تعالى: "قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ" (الآية 78 من سورة يوسف)، حيث يظهر في شهادة أخوة نبي الله يوسف أنه من المحسنين، وتُعتبر هذه الصفة من الصفات اللازمة في قائد الأزمات الاقتصادية الخاصة بالقحط والجفاف والمجاعات، وسبع الأزمات، والسنواتٍ الشداد.

– **التصدق:** يقول تعالى:"... فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ" (الآية 88 من سورة يوسف) . يتجلى العنصر الرابع في طلب أخوة نبي الله يوسف لأخيهم يوسف بالوفاء بالكيل بل تعدي هذه المرحلة للدخول في مرحلة أعلى من الوفاء والمساواة في الكيل إلى مرحلة التصدق، وما كانوا يجرؤون على مثل هذا الطلب في حالهم هذه وحال القحط التي وصلت بالخلائق منتهاها، إلا أنهم استشعروا بل ووثقوا من حسن خُلقه الذي يتناسب مع حالة القحط من كرم وجود وسماحةٍ وإحسانٍ وتصدق في الغلال وهي حينئذٍ أغلى من الذهب بل إن الذهب لا يساوى مثقال ذرة إذا ما قورن بالحنطة آنذاك.

هـ.3. تكوين سلوكي: يتصف فريق عمل الأزمات في منهج نبي الله يوسف عليه السلام بخصائص تتمثل في:

– **خاصية السخاء:** التي تتناسب مع القحط والمجاعة، وهي درجة أعلى من الكرم، ومناسبةً للحقل الدلالي للإحسان التي اتسم بها قائد الأزمات نبي الله يوسف عليه السلام على مدار السورة بأكمله، وهم بهذه الفتوة والإخلاص والأمانة–حيث إنه جمع كثرة– مناسباً لسياق الآيات؛ لأنهم غلمانه وأعوانه الذين يسيرون أمور البلاد من تخزين وتوزيع الحنطة والغلال على الشعب أثناء سنين القحط والجدب والمجاعة.

– **خاصية الإيمان والهداية:** في قوله تعالى: "إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى".

– **خاصية ذوي النجدة والملهوف:** وهي واضحة في سلوكهم وسلوك قائدهم عندما استعطف أخوة يوسف نبي الله يوسف أن يعاملهم بالتصدق والإحسان، لرداءة بضاعتهم.

هـ.4. تكوين علائقي:

– **روح الفريق:** ويظهر ذلك جلياً في أمور، هي:

▪ **التعاون والمشاركة:** تظهر في أفعال المضارعة: (كزمن) الدالة على الاستمرارية والتجدد من ناحية، وكذلك (كضمير جمع) الدالة على وجود روح الفريق والمشاركة والتعاون؛ من خلال (تزرعون– تأكلون– تحصنون– يعصرون)، وكذا (كضمير مخاطب) في الأفعال الثلاثة الأولى؛ لزيادة الاهتمام والتركيز في تلقي تعبير الرؤيا؛ لخطورة الموقف الأزموي، والانتقال أو استخدام أسلوب (الالتفاف البلاغي) والانتقال إلى ضمير الغائب في عام الغيث للدلالة على الخروج من دائرة التركيز وبؤرة الاهتمام في الخطاب، لانتهاء الشدة والانتقال إلى البشارة والتفاؤل.

- **الجديّة والحرفية:** تظهر في فعلي الماضي: (كزمن) الدالة على التأكد من حدوث الفعل بحرفية وثقة (حصدتم- قدمتم)، وكذلك (كضمير جمع) الدالة على وجود روح الفريق والمشاركة والتعاون؛ وكذا (كضمير مخاطب)؛ لزيادة الاهتمام والتركيز في تلقي تعبير الرؤيا، لخطورة الموقف الأزموي.
- **الطاعة والانقياد:** تظهر في حرف الربط وفعل الأمر، وذلك في قوله تعالى:(فذروه) بعد كلمة (فما حصدتم)، لتدل على الانقياد لأوامر القائد الأزموي نبي الله يوسف عليه السلام.

– **روح التفاؤل:** ويظهر ذلك في قوله تعالى: "ثم يأتي من بعد ذلك عام.."، وهو دال على البشارة وروح التفاؤل التي يبثها نبي الله يوسف قائد الفريق الأزموي في فريق عمله، حيث إنها تُعتبر إعجازاً من ناحيتين، الأولى: أنها تعبيرٌ لا يوجد له حدث في رؤيا الملك فهو إخبارٌ من الله ووحي لنبيه يوسف القائد الأزموي لوقوع حادثة في المستقبل؛ ومن ناحيةٍ ثانية ليضع الخالق قاعدة إلهية موجهة إلى كل قائد أزمة أو شدة، وهي "ضرورة بث قائد الأزمة روح التفاؤل في فريق عمل الأزمات وكذا مجتمع الأزمة الواقع عليهم تلك الأزمة أو الشدة.

هـ. 5. تكوين تنظيمي: يتمثل التكوين التنظيمي في كلمة "خزائن الأرض"، وذلك في قوله تعالى: "اجعلني على خزائن الأرض"، حيث تعتبر هذه اللفظة معجزة في السياق والنظم القرآني، من خلال الإدارات المكونة والمنبثقة منها وعنها في إطار تنظيمي، كما يلي:

– **إدارة التخطيط:** يقول الله تعالى "تزرعون سبع سنين.."، "ثم يأتي من بعد ذلك سبع.."، "ثم يأتي...عام..."، حيث يتبين لنا من خلال الآيات السابقة تأثير الزمن في تفسير الرؤيا، ومن ثم التخطيط الاستراتيجي لمواجهة الأزمات في عصر سيدنا يوسف عليه السلام.

– **إدارات مساعدة:**

- **إدارة التموين:** يقول تعالى: "اجعلني على خزائن.."، يظهر لنا من خلال التحليل اللُّغوي المعجمي أن كلمة خزائن تعني: مخزن- مخازن الطعام، وهي تتضمن مخازن الحبوب ومخازن اللحوم.
- **إدارة الأمن والحراسة:** يقول الله تعالى: "اجعلني على خزائن.."، يظهر لنا من خلال الجذر اللُّغوي أن كلمة خزائن تعني: خازن- خزنة، وفي القرآن الكريم خزنة جهنم، وهم الحرس.
- **إدارة الموارد المائية:** يقول الله سبحانه: "اجعلني على خزائن.."، يظهر لنا من خلال التحليل اللُّغوي المعجمي أن كلمة خزائن تعني: خزَّان-خزَّانات المياه. وتتضمن: خزَّانات طبيعية جوفية وخزَّانات صناعية.
- **إدارة المالية:** يقول تعالى: "اجعلني على خزائن.."، يظهر لنا من خلال التحليل اللُّغوي المعجمي أن كلمة خزائن تعني: خزائن الأموال: إيرادات ومصروفات.

- **إدارة المعرفة والمعلومات والبحث العلمي:** يقول تعالى: "اجعلني على خزائن.."، يظهر لنا من خلال التحليل اللُّغوي المعجمي أن كلمة خزائن تعني: خِزانة– خزائن الكتب.
- **إدارة الصيانة الفنية:** يقول تعالى: ".. إني حفيـظ.." و".. اجعلني على.."؛ فهناك إعجاز لغوي إداري بين الحفظ والجعل؛ لأن "الجعل" في المعاجم هو حشرة توجد في المياه الراكدة؛ فتعمل على فسادها وكذا في الأرض الزراعية، فتعمل على تدمير المحاصيل المنزرعة، وبالتالي فالفعل اجعلني مناسباً لوظيفة الحفظ، وهي حفظ الماء وصيانتها وحفظ الأرض الزراعية ومن ثَم المحاصيل الزراعية من الحشرات وكل ما يُفسد ذلك.

– **إدارة الإشراف والرقابة:** يقول تعالى ".. اجعلني على.."، فحرف الجر على يفيد الفوقية لغة كما يفيد الإشراف والرقابة إدارياً.

هـ.6. تكوين معرفي: يمثل التكوين المعرفي أهمية كبيرة في بناء فريق عمل الأزمات في منهج نبي الله يوسف عليه السلام الأزموي، ويظهر ذلك جلياً من خلال التحليل اللُّغوي للجذر (خزن) في قوله تعالى "..اجعلني على خزائن الأرض.." (الآية 55 من سورة يوسف). حيث يَعني هذا الفعل في المعاجم اللُّغوية معاني عيدة منها: خزن خزانة وخزانات، والخزانة هي مكان وقاعة العلم والكتب ومجمع البيانات والمعلومات. وهو المكان الذي سوف يحصل منه قائد الأزمة على البيانات الدقيقة المطلوبة في وقتها من خلال معرفة مساحة الأفدنة المزروعة وإنتاجية كل فدان وتكلفة الفدان مالياً واستهلاك كل فدان من البذور والماء؛ لتدبير احتياجاته من الزراعة وخفض نسبة الهدر إلى الحد الأقصى له.

هـ.7. تكوين جسماني: يتسم فريق الأزمات، من خلال المعاني اللُّغوية لـ (فتى) في المعاجم، وكذا استخدامها بصيغها المختلفة في القرآن الكريم بخصائص تتسم ووقت الأزمات الاقتصادية الخاصة بالقحط والمجاعة، حيث إنها تُعتبر كلمة معجزة لما تحمله من معانٍ مناسبة للسياق الأزموي. ومن هذه المعاني: القوة والفتوة والشجاعة والطاعة والنشاط والانضباط، لكونهم في مرحلة الفتوة وهي المرحلة بين المراهقة والرجولة، وهي خاصة بتلك الصفات .

3.4. القيادة الرشيدة صفة لتحقيق الأمن الاقتصادي: إن القيادة هي القدرة على تحريك الأفراد نحو الهدف، وهذا ما استطاع نبينا الكريم أن يحققه من خلال عدة خصال تمثلت في:

أ. المصداقية: والمصداقية هي مجموع مستحق الثقة، الرقابة الذاتية والمبادرة إنجاز المهام المطلوبة. وقد جاء في السورة في أكثر من موضع ما يبرهن صدق نبينا الكريم من خلال تبرئته من كيد امرأة العزيز وكذلك اعتراف ملك مصر بصدقه وأمانته في عدم خيانة ولي نعمته.

ب. الرؤية المرشدة: وتتمثل رؤيته المرشدة المستمدة من علام الغيوب سبحانه حينما فسر رؤيا الملك، وعمل خطة استراتيجية فريدة حينما أصبح العزيز (وزير مالية مصر)، من شروط القائد أن يكون له أتباع مخلصون حتى ولو مجموعة قليلة جدا من الأفراد.

وفي المدة التي قضاها سيدنا يوسف في السجن بضع سنين (7 إلى 9 سنوات) كان يبلغ رسالته حتى أن بعض المفسرين قال إن معظم السجناء آمنوا به كرسول ونبي مما تبين لهم من صلاحه وحسن إدارته للسجن حتى أن يوسف أدار السجن إدارة أثرت حتى على سلوك السجناء معظمهم، فعندما أراد أن ينفذ خطته اختار اتباعه إذا أمر بإخراج السجناء (المؤمنين) وقلدهم أرفع المناصب على جميع أرجاء مصر وذلك لتنفيذ خطته الاستراتيجية واختار المؤمنين حتى يستطيع ان ينفذ خطته بدقة فالأتباع يكملون القائد (فريق عمل).

ج. التحفيز: وللتحفيز استخدم سيدنا يوسف عليه السلام عدة وسائل منها:

- **الإستحواذ على القلوب:** كان الجميع داخل السجن يحبونه من سلوكه واستطاع يوسف عليه الصلاة والسلام من تغيير سلوكياتهم وهكذا هو القائد القادر على تحريك الأفراد نحو الهدف.

فما كان من السجناء وأتباع النبي يوسف إلا أن أطاعوه فإن المحب لمن يحب مطيع، ففي المنظمات إن كان الموظفون يحبون قائدهم سوف يبذلون المجهود بإخلاص لأنهم يحبون القائد وهكذا كان المسئولون عن عملية تخزين القمح وحفر الآبار استعدادا لسنوات القحط.

- **التمكين:** وزع على جميع بلاد مصر مراقبين من زملائه بالسجن، لكي يشرفوا على بناء خزانات القمح وحفر الآبار أثناء الرخاء وذلك لمجابهة القحط ولم يتبع أسلوب الجاسوسية أعطاهم توجيهات وترك لهم المسئولية وهكذا يكون القائد الفعال يكون حوله قادة وطبعا عندما تبين للنبي يوسف حسن إدارتهم وذكائهم وأمانتهم بعد الإيمان فهكذا الإيمان دائما يحسن من سلوك الأفراد. ونلاحظ مدى تواضع وأمانة وإخلاص النبي الكريم يوسف عليه السلام حينما أكرمه الله واخرجه من السجن لم يتكبر على هؤلاء المساكين المسجونين بل حولهم إلى قادة بعد ان كانوا سجناء عبيد.

د. الذكاء: على الرغم من أنه نبي مرسل إلا أنه عليه السلام كان حاد الذكاء فقد أقر القرآن الكريم أن سيدنا يوسف عندما بلغ أشدة أوتي من العلم والحكمة نصيبا كثيرا. فاستطاع بذكائه الخارق بفضل العلي الكريم سبحانه أن ينجح في تخزين القمح لمدة سبع سنين وعندما حاول كهنة المعابد الكافرين في مصر تقليده فشلوا إذا لم يعرفوا السر، وهو أن يوسف عليه الصلاة والسلام خزن القمح بالسنابل وكثر من عدد المخازن في جميع أنحاء البلاد في مصر ففي مدينة إدفو بأسوان يوجد أحد مخازن يوسف عليه السلام حتى الآن. ولكن الكهنة من جشعهم أرادوا ان يوفروا تكلفة المخازن فخزنوا القمح من غير السنابل فأكله السوس بعد سنة واحدة فقط.

خاتمة:

لقد استطاع القرآن الكريم من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام أن يضرب مثلا عميقا في حسن القيادة وفعالية الاستراتيجية في إدارة الأزمات التي تحقق الأمن الاقتصادي بالأخير. فسيدنا الكريم يوسف عليه السلام استطاع بخصاله الخلقية الحميدة وعلمه، حكمته وأمانته وذكائه الاقتصادي ورصانة تصرفاته أثناء سنين الرخاء والقحط أن يحقق فائضا في الإنتاج بموارده الطبيعية الداخلية حتى استطاع أن يطعم سكان المدن المجاورة لمصر. كما أن الاستراتيجيات التي طبقها لا يمكن وصفها إلا في خانة العلم الأصيل الذي يحتذى بها لإدارة الأزمات الاقتصادية المرتبطة بالغذاء حتى في الوقت الراهن.

إلا ما يمكن اغفاله هو ارتباط التوفيق في حل الأزمة والخروج منها بأقل الخسائر إن لم يكن بالربح والفائدة بمدى الايمان والصبر والتوكل على الله وكذلك العمل الجاد. وها ما فعله النبي الكريم إذ أخذ بالأسباب وأعد العدة والعتاد لمواجهة الأزمة من استراتيجيات وحسن تدبير ولم يغفل الجانب الروحي فما من توفيق إلا من عند الله والله لا يوفق من كفر وتكبر وتجبر بل يزيده من الأزمات قد طغيانه ويفرج هم من استعان وآمن به. فسيدنا يوسف كافأه الله بأن أخذ بيده لتجاوز الأزمة والأكثر من هذا أن جمعه بأبيه عليه الصلاة والسلام وسجد له اخوته جميعا ورفع مقامه أمام الملأ.

الهوامش

[1] ابن منظور(1956-1955). لسان العرب،:مادة أزم، ج8، دار صادر: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

[2] النجفي، حسن (1977). القاموس الاقتصادي (عربي، انجليزي)، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ص 89.

[3] عليوة، السيد (بدون تاريخ). إدارة الأزمات في المستشفيات، إسترال، القاهرة: مصر، ص 13.

[4] الجبوري، أحمد إسماعيل عبد الله (بدون تاريخ). تاريخ الأزمات الاقتصادية الإسلامية: الأسباب والمعالجات: العصر العباسي أنموذجا، مقال مشور في الأنترنت موجود بصيغة وورد على محرك البحث google.

[5] سورة البقرة: الآية 22.

[6] القضاة، معن خالد (2010). الأمن الاقتصادي من منظور إسلامي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ص 10.

[7] القليطي، سعيد على حسن (2007). التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الاقتصادي والنهضة المعلوماتية بالمملكة العربية السعودية، مؤتمر تقنية المعلومات والأمن الوطني، الرياض.

[8] حشيش، عادل(بدون تاريخ). مشكلة الدعم السلعي والأمن الغذائي في مصر، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ص ص 34،33.

[9] القضاة معن خالد، مرجع سابق، ص 16.

[10] القاس مصبحي وآخرون (2009). تحديات الأمن الغذائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 6.

[11] الشيخ أيو القاسم (بدون تاريخ). نظم الإدارة الهندسية والأمن الصناعي، ط 1، جامعة التحدي ليبيا، ص 19.

[12] الآية الرابعة من سورة قريش.

[13] انظر: الآية 66 من سورة المائدة.

[14] انظر: الآية 42 من سورة التوبة.

[15] انظر: الآية 32 من سورة لقمان.

[16] انظر: الآية 9 من سورة النحل.

[17] انظر الآية 32 من سورة فاطر.

[18] انظر: الآيتين 118، 119 من سورة طه، وكذلك الآية 112 من سورة النحل.

[19] الصريفي، محمد (2007). إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ص ص 62-63.

[20] عشوي، مصطفى مولود(2007) سورة يوسف: قراءة نفسية، متاح على الموقع:
http://www.alukah.net/sharia/0/502/#popup1، 2015/11/17 .

[21] عبد السميع، السيد أسامة (2008). الاعجاز الاقتصادي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية تطبيقية، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ص341.